

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

القصدية و الخطاب دراسة تداولية

Intentionality and Discourse

Pragmatic treatment

ابوزيدي عمار*

جامعة عمار ثليجي الأغواط ، (الجزائر)، am.bouزيد@lagh-univ.dz ، مخبر اللسانيات التداولية و تحليل الخطاب

تاريخ النشر: 2025/12/01

تاريخ القبول: 2025/10/01

تاريخ ارسال المقال: 2025/09/03

*المؤلف المرسل

:

الملخص:

تعد القصدية عمود الدرس التداولي ، فلا يُدرّس استعمال اللغة إلا و قصود المتخاطبين غاية مرسومة وهدف مطلوب ، بعد أن وقف الدرس السيميوطيقي عاجزا عن وضع نظرية مكتملة في التواصل ، لكن مع انبعاث الأفعال الكلامية من رحم الفلسفة التحليلية و اهتمامها باللغة العادية تكشف على يد سيرل قواعد لانبنائها و آليات لتفسير المعنى و الوصول لمقاصد المخاطبين ، كما تأسست نظريات للمعنى و قواعد للتخاطب أزاحت الكثير من الغموض عن المعنى و تعالقه مع القصد؛ خصوصا مع ثورة غرايس و من جاء بعده.

الكلمات المفتاحية: .القصدية ; سيرل ;مبدأالتعاون ;غرايس

Abstract :

Intentionality is considered the pillar of the pragmatic lesson, so the use of language is not studied unless the intents of the interlocutors is a drawn uttermost and a desired goal, after the semiotic lesson was unable to develop a complete theory of communication, but with the emergence of speech acts from the womb of analytical philosophy and its interest in ordinary language, rules were revealed by Searle Because of its construction and mechanisms for interpreting the meaning and reaching the purposes of the addressees. Theories of meaning and rules of communication were established that removed much of the ambiguity about the meaning and its relationship with the intent. Especially with the Grice Revolution and those who came after it.

Keywords: Meaning; Grice; Intentionality; Searl .

مقدمة:

يقتضي التخاطب جانبين متواصلين يلقيان أقوالا بغرض إفهام كل منهما الآخر مقصودا معينا ولطالما كان التقصّي عن هذا المقصود ديدن الباحثين من عدة تخصصات ؛ أهمها التداولية في العصر الحاضر، حين بروزها على يد الفلاسفة جون أوستين **John Langshaw Austin** و جون سيرل **Jogn Searle** و بول غرايس **Paul Grice** و من معهم وبعدهم ؛ إذ كان القصد ركنا في الدراسة عند أوستين في محاضراته (كيف نفعل الأشياء بالكلمات) حين اكتشافه للأفعال الكلامية ، لكن تعديلات سيرل و إضافاته و إنشائه لتصنيفات أُخر أغنت الدرس التداولي و فسّرت جانب الاستعمال في اللغة خصوصا عند تناوله للفعل الكلامي غير المباشر ، في المقابل كان غرايس يُخطّ مبدأ التعاون و يضع قواعد التخاطب المشهورة **Conversational implicature** التلويح الحواري أو الاستلزام الحواري؛ فأعطى المتكلمين ومقاصدهم مكانة محورية عند تفسير المعنى. لتتوالى الدراسات بعده شارحة أو مضيئة أو رادة عليه في الكل أو البعض.

فما هي الخطوط العريضة التي انتحاهما سيرل في بناء نظريته في الأفعال الكلامية و المعنى ؟ وكيف اتكأ على القصود في ذلك ؟ وكيف تخصص في القصدية بعد هذه الجهود الجبارة ؛ منذ 1969م؟ ثم كيف بنى غرايس نظريته في التواصل و في المعنى ؟ وأين مكان القصدية فيها؟ وكيف استُقبلت بعده ؟ وكيف تنازع علم الدلالة و التداولية المعنى والقصد ؟.

انتحى البحث منهجا الوصف و التحليل في كشف أهم المباحث من خلال اختصارها في نقاط متتابعة توضّح تعالّقها و تلبّس القصدية في بناءاتها. إذ بُدأ فيه بالقصدية و الأفعال الكلامية ثم القصدية والتواصل، وكان في العنوان الأول شيء من الثاني خصوصا في الفعل غير المباشر بسبب تعلقه بسيرل

المبحث الأول القصدية والفعل الكلامي:

كتمهيد نبدأ بالتعريف بالقصدية و إشكالية ترجمة مصطلحا إلى العربية ثم نعالجها عند جون سيرل

القصدية تعريف وترجمة:

لغة يعود الجذر ق ص د « في كلام العرب إلى الاعتزام و التوجه و النهود و النهوض نحو الشيء ، على اعتدال كان أو جور ، هذا أصله في الحقيقة » هذا كلام بن جني في لسان العرب¹ ، ويعود إلى إتيان الشيء، في مختار الصحاح² ، و له معان أخر كثيرة ؛ هذا أعلقها بموضوع البحث أما اصطلاحا فالقصدية هي الأشهر لترجمة المصطلح الإنجليزي الذي اختاره ج. سيرل **Intentionality**؛ كما في ترجمة أحمد الأنصاري لكتاب "القصدية بحث في فلسفة العقل" لسيرل³. و يبدو أن ترجمة المصطلح بالقصدية لقي قبولا أكثر لدى الباحثين العرب ، بالرغم

من وجود مصطلح مقصدية لعبد الواحد المرابط في مقاله : "مفهوم المقصدية في تاريخ الفلسفة" من خلال أطروحة كانديدا دي سوزا . حيث يقول : « في هذا الصدد، اعتمدنا مصطلح "مقصدية"، الذي يجمع بين صيغتي المصدر الميمي والمصدر الصناعي، ليقابل مصطلح (Intentionnalité/ Intentionality) فالصيغة الأولى تجرده من الزمن، والصيغة الثانية تنقله من الوصفية إلى الاسمية . أما مصطلح؛ (Intention) فاكثفينا في ترجمته بصيغة المصدر الصناعي "قصدية"، مع زيادة تاء النقل التي تحولها من صفة إلى اسم»⁴. لكن القصدية أدت الغرض و لم تشوش و الأولى الاختصار في الترجمة، كما أنه ارتضاها كبار الكتاب عن سيرل منهم صلاح اسماعيل⁵ و غيره . وكذا مسعود صحراوي في كتابيه "التداولية عند علماء العرب" و "لحظة ميلاد التداولية"⁶. و تعريف القصدية هو « قدرة العقل على أن يوجه ذاته نحو الأشياء ويمثلها، وهي خاصية للعقل يتجه عن طريقها إلى الأشياء في العالم أو يتعلق بها»⁷.

يقول ج . سيرل «إن القصدية صفة للحالات العقلية و الحوادث التي يتم بها التوجه إلى موضوعات العالم الخارجي و أحواله أو الإشارة إليها»⁸.

و يجدر التنويه أن دراسة القصدية تداوليا يقتصر على القصود و المقاصد في الخطاب وحسب.

المطلب الأول: الأفعال الكلامية

من خلال أمثلة تطبيقية نستعرض نظرية جون سيرل التداولية و كيف طور نظرية أوستين في الأفعال الكلامية

الفرع الأول: مدخل لنظرية جون سيرل التداولية

لو قال قائل في سياقات ومقامات وأحوال مختلفة :

1- انطلق زيد. 2- ينطلق زيد. 3- هل سينطلق زيد. 4- زيد هو المنطلق. 5- ليت زيدا ينطلق. و نستطيع أن نزيد من هذه العبارات بالتقديم و التأخير والإضافة وغير ذلك بدون أن نغير الموضوع (القضية) و هو (انطلاق زيد) فإننا نلاحظ أن القائل في كل مرة ينجز فعلا بمجرد تلفظه لكل مثال على حدة ففي 1- يخبر أن زيدا سبق و أن انطلق و في 2- يخبر أن زيدا حالا انطلق و في 3- يتساءل عن انطلاق زيد و في 4- يجيب السائل أن الذي انطلق هو زيد لا غيره وفي 5- يتمنى من زيد أن ينطلق الآن . فسياق اللغة سمح له ان يعبر عن كل مقام بما يناسبه والموضوع واحد هو انطلاق زيد . يقول جون سيرل مع اختلاف في إيراد الأمثلة : « فعند قول أي من هذه

الجملة يحيل المتكلم على شيء هو زيد ، يذكره أو يعينه ، و يحمل عليه ... وسنقول حينئذ إن مقول الجملة الأربع يتضمن نفس الإحالة و نفس الحمل و إن كانت هذه الإحالة نفسها وهذا الحمل نفسه يجريان على أنهما جزء من عمل لغوي مكتمل ومختلف عن أي واحد من الأعمال الثلاثة الأخرى. وإذن فسنعزل مفاهيم الإحالة و الحمل عن المفاهيم المتعلقة بالأعمال اللغوية المكتملة شأن الإخبار و الاستفهام... ويستند تبرير هذا العزل إلى أن نفس الإحالة و نفس الحمل يمكن أن يجريا عند إنجاز أعمال لغوية تامة مختلفة لقد سعى أوستين Austin هذه الأعمال اللغوية التامة (أفعالا متضمنة في القول) illocutionary acts⁹» ثم يذهب سيرل إلى تفكيك هذه الجملة إلى ثلاث مفاهيم هي:

1- أفعال قولية وهو ما يسمعه السامع من أصوات : (فونيمات- مورفيمات – جملا)

2- أفعال قضوية (محتوى قضوي): إحالة و حمل

3- أفعال مضمنة في القول (قوة إنجازية) : أثبت، وصف، أخبر، وعد، حذر، لاحظ، عقيب و هذا ما ركز عليه سيرل في بقية دراساته¹⁰

ثم أضاف لها مفهوم أوستين من خارج بنية الجملة و هو أفعال التأثير بالقول : فصارت أربعة مفاهيم، يمكن أن يُجمل توضيحها من خلال هذا الجدول الذي يحمل تحليل سيرل لها :

أ	ب	ج	د
أفعال قولية يقول كلمات (فونيمات/مورفيمات/جملا)	أفعال قضوية/يحيل يحمل (محتوى قضوي)	أفعال مضمنة في القول (قوة إنجازية)	أفعال التأثير بالقول
1- انطلق زيد	1- أحال على انطلاق زيد 2- حمل الانطلاق على زيد	أخبر عن انطلاق زيد في الماضي	أكسب السامع معلومة سبق الانطلاق
2- ينطلق زيد	1- أحال على انطلاق زيد 2- حمل الانطلاق على زيد	يخبر أن زيدا انطلق حالا	عرف السامع أنه ليس هناك فاصل زمني كبير عن انطلاقه
3- هل سينطلق زيد	1- أحال على انطلاق زيد 2- حمل الانطلاق على زيد	يتساءل عن انطلاق	استفز السامع للإجابة

4- زيد هو المنطلق	1- أحال على انطلاق زيد 2- حمل الانطلاق على زيد	يجيب السائل أن الذي انطلق هو زيد لا غيره	تعيين الذي انطلق
5- ليت زيدا ينطلق	1- أحال على انطلاق زيد 2- حمل الانطلاق على زيد	يتمنى من زيد أن ينطلق الآن	دفع السامع إلى حث زيد على الانطلاق

جدول يوح تحليل سيرل للأفعال الكلامية

المصدر: المؤلف

الفرع الثاني: تحليل للحول المقترح

يلاحظ أن ج الأفعال المتضمنة في القول (القوة الإنجازية) تحمل «خمس مقولات عامة ... فنحن نخبر غيرنا عن حالة الأشياء (التقريريات)، ونسعى إلى حملهم على فعل أشياء (التوجيهيات)، ونلتزم بفعل أشياء (الوعديات)، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا (الإفصاحيات)، ونحدث في العالم تغييرات بأقوالنا (الإيقاعيات)»¹¹. بهذا تنحصر الاستعمالات اللغوية و تتحدد خلافا لما ذهب إليه فتغنشتين وأوستين بأن الاستعمالات اللغوية لا حصر لها؛ التي كان منشأها لبس في تحديد المعايير التي تتميز بها بين استعمال وآخر¹². ومبدأ القصدية هو من يجعلها تقريراً أو توجيهاً أو وعداً أو إفصاحاً أو إيقاعاً. كما أن الفعل الواحد قد يجمع عدة مقاصد. وتحكم هذه المقولات خمس قواعد؛ سعى سيرل هذه القواعد ب القواعد لاستعمال الأسلوب المؤشر على القوة المضمنة في القول.

المطلب الثاني: القواعد لاستعمال الأسلوب المؤشر على القوة المضمنة في القول:

في المطلب الثاني نستعرض خمس قواعد توضح كيفية تموضع القوة المضمنة داخل القول

وملخص هذه القواعد بالشكل التالي:

قاعدة المحتوى القضوي:

القاعدة 1: على وع¹³ أن تقال فقط في سياق جملة ج بحيث يسند قولها عملاً مستقبلياً إلى المتكلم م.

القاعدتين التمهيديتين

القاعدة 2- على وع أن تقال فقط إذا كان السامع سيفضل إنجاز م ل على عدم إنجاز إياه وكان م يعتقد أن ع سيفضل إنجاز م ل على عدم إنجاز م.

القاعدة 3- على وع أن تقال فقط إذا لم يكن بديها بالنسبة إلى م و لا بالنسبة إلى ع أن م سيقوم بل في السياق العادي للأحداث .

قاعدة صدق النية:

القاعدة 4 - على وع أن تقال فقط إذا كان م ينوي إنجاز ل.

القاعدة الأساسية:

القاعدة 5- يعتبر قول وع التزاما بإنجاز ل.¹⁴

و لأن انطبقت هذه القواعد على الوعد (وع) فإنها تنسحب بشكل ما على سائر الأفعال المضمنة في القول (القوى الإنجازية) التي تستدعي مفاهيمها فروقا مختلفة .

المبحث الثاني القصدية و التواصل

في القصدية و التواصل نناقش و نستعرض نظرية بول غرايس في المعنى و القصدية.

لا يكاد يوجد تفاعل ينفلت عن القصدية ؛ إذ كل أنواع التواصل بين البشر يدخل القصد فيها موجّها

مطلوبا

«والقصد هو ما يميز السلوك البشري فيخرجهم من حيز الفعل لا لإراديو العفو بل لحييز الفعل لإراديو الديراد من خلا لهتحقيق أهدافوالفعال كلاميا باعتبارهم سلوكا لا يخرج عن هذا الإطار»¹⁵، فقولك - أ-: "الجو حار" ، له معنى لغوي معروف و هو الإخبار عن حالة الجو وهذا سياق داخلي لأسلوب اللغة حمل هذا المعنى وهو حكم منك عن حالة الجو ، لكن إذا لوحظ أنك دخلت غرفة و كانت مغلقة و أخبرت من فيها أو من دخل معك بحرارة الجو ، فزيادة على إخبارك إياهم بحرارة الجو تكون قد زدت عن معنى الإخبار معنى آخر وهو طلبك منهم فتح النوافذ وتنفيس الغرفة ، فهذا **قصداك و مقصداك**. وطلبك هذا إذا كان على سبيل التعالي أي كنت أنت رئيسهم أو أستاذهم فهو أمر ، وإن كنت قرينهم فهذا التماس .

إذا كيف فهموا منك أنك تطلب منهم فتح النوافذ و تنفيس الغرفة لمجرد قولك الجو حار؟

1- : لأن لغتك التي خاطبتهم بها هي نفسها لغتهم ؛ هذا **تواضع** ، وأنك تملك القدرة على الإخبار وتعلم أنهم يملكون القدرة على فهم ما تقوله .

2- : أنك أخبرتهم بشيء هم على دراية به أصلا (حرارة الجو)

3- : هم فهموا بمجرد إخبارك أنك لا تقصد إعلامهم فقط .

4- : فهموا أنك تطلب منهم تنفيس الغرفة وذلك بفتح النوافذ، وهذا قصدك.

5- : ل 4 شروط : - للغرفة نوافذ تفتح - وليس هناك طريقة أخرى لتنفيس الغرفة إلا من النوافذ أو الباب و الباب قد دخلوا منه وكلامك يدل على عدم كفاية فتح الباب لتنفيس الغرفة - وأن الجلوس في الغرفة مزعج إذا بقيت مغلقة ، و هذا هو سياق الحال الذي حملت على أساسه خطابك قصدك

6- : فإذا تم فتح النوافذ فقد تحقق مقصدك ، و هو إشباع القصد.

وعليه فقصدك هو إفهامهم أنه يجب أن تُنفّس الغرفة ومقصدك هو تحقق تنفيس الغرفة واقعا، وهذا هو مرادك وما تعنيه من كلامك ، فمقصدك كان هو المبتدأ والمنتهى ؛ مبتدأ الفعل بعد حالة التأثر والانفعال جراء حرارة الجو داخل الغرفة ، فكان المقصد هو باعث القصد للفعل الكلامي وتحققه هو الإشباع له . وقد تقول لم لا يكون الباعث هو حرارة الجو أو التضمر من حرارة الجو؟ نعم هو السبب والباعث لحدوث الفعل الكلامي برمته وهو باعث خارجي غير مُلزم أما المقصد وما يريده الشخص فهذا باعث داخلي إذ إنه قرار تنطلق الأعضاء الفاعلة لإنجازه وجوبا . و يحكم هذا المسار و السلوك مبدأ عام هو مبدأ التعاون the cooperative principle .

المطلب الأول: مبدأ التعاون¹⁶:

مفاده: «اجعل إسهامك التخاطبي كما يتطلبه - عند المرحلة التي يحدث فيها - الغرض أو الاتجاه المقبول لتبادل الكلام الذي تشارك فيه»¹⁷ و هو الذي جاء به بول غرايس Paul Grice؛ وضعه في مجموعة من القواعد صنفها تحت أربعة مقولات هي: Quantity- Quality- Relation- Manner ؛ الكم والكيف والعلاقة والطريقة¹⁸.

الفرع الأول: شرح المقولات:

1- مقولة الكم : ترتبط بكمية المعلومات ، وتحقق بقاعدتين

- 1- اجعل إسهامك التخاطبي إخباريا بالقدر المطلوب (تعمل باتجاه زيادة التأثير)
- 2- لا تجعل إسهامك التخاطبي إخباريا أكثر من المطلوب ؛(تعمل باتجاه تقليل الجهد)

ففي المثال قولك : الجو حار كاف في التبليغ ، فلو قلت : "أنا جئت من الخارج والجو حار هنا وأريد تبليغكم بأن الجلوس في هذا الجو مزعج" . هذا إسهام بأكثر مما هو مطلوب.

1-2- مقولة الكيف : حاول أن تجعل إسهامك التخاطبي صادقا وتتجلى في قاعدتين

1- لا تقل ما تعتقد أنه كذب

2- لا تقل ما لا دليل لك عليه

و في مثالنا أنت صادق في إخبارهم بحرارة الجو بدليل الغرفة مغلقة ومشاعر التضايق من الحرارة، فهم يوافقونك على هذا التضايق

1-3- مقولة العلاقة : وتحتها قاعدة واحدة : كن ملائما . فلو كان الجو خارج الغرفة أشد حرارة من داخلها وأنت لم تظهر عند إخبارك مشاعر التضايق والتأفف وبقيت لابسا معطفك ؛ لا يصح أن يقال عن إسهامك أنه ملائم للسياق

1-4- مقولة الطريقة¹⁹ : وترتبط بكيفية قول المقول والقاعدة العامة التي تمثل هذه المقولة هي : كن واضحا و تدرج تحتها قواعد متنوعة

1- اجتنب اللبس ؛ كقولك : الجو حار

2- كن موجزا و هي تشبه مقولة الكم

3- كن مرتبا . إذ لو دخلت الغرفة ووجدتهم يتشاجرون فمن الترتيب ألا تقول بدءا : الجو حار ، وتنتظر من أحدهم فتح النوافذ ، الأولى أن تفك شجارهم وتهيئ الجو لذلك . ويشمل أيضا ترتيب القول وتسلسله

4- بقيت قاعدة و هي اجتنب الغموض. هل تحققت؟ ستتضح من خلال التحليل.

الفرع الثاني: ملاحظات حول مبدأ التعاون

لكن ليس في كل الحالات يُحترم هذا المبدأ²⁰؛ سواء في التخاطب باللغة العادية أو في غيرها وغيرها أشد تفلتا وأعقد معنى ، مما يستدعي الاقتضاء التخاطبي²¹ و هو بسبب الاختلاف بين قول القائل وقصده ، ففي المثال أ- قلت : الجو حار ، لكنك لا تقصد الاخبار؛ مما يقتضي منهم إحالة المعنى عن ظاهر القول إلى معنى طلب فتح النوافذ لتنفيس الغرفة ، و هذا ما لا تحمله عبارة الجو حار ، و هنا يميز غرايس بين ما يقتضيه المتكلم و ما تقتضيه الجملة ، إذ عبارة : "الجو حار" تقتضي الإخبار عن حرارة الجو ولها سياقاتها وهذا ظاهر ، لكن قد لا

يراد بها الإخبار فقط فالمتكلم أراد شيئاً آخر وله أسبابه الدافعة لذلك كأن يكون من باب التهذيب في المثال السابق ، وقد ذكر صلاح إسماعيل في كتابه "النظرية القصدية في المعنى عند جرايس" عدة أمثلة توضيحية فالترّاجع. و يقول : «و يميز جرايس بين نوعين من الاقتضاء : الاقتضاء الاتفاقي والاقتضاء التخاطبي فأما الاقتضاء الاتفاقي فيتولد عن طريق المعنى الاتفاقي للكلمات المنطوقة... ولا يتطلب فهمه استدلالاً عقلياً ، وإنما يفهم مباشرة . [كالإخبار عن حرارة الجو في النشرة مثلاً] وأما الاقتضاء غير الاتفاقي²² الذي يعتمد على السياق التخاطبي ، [كما في مثال -أ-] فإنه اقتضاء تخاطبي ، وهو اقتضاء يضعه المرء باستعمال الاستدلال العقلي القائم على قواعد التخاطب»²³

يمكن أن يُقال كقاعدة عامة : ليس كل ما يقال؛ ظاهره مقصود. يقول الطاهر بن عاشور : «إن الكلام لم يكن في لغة من لغات البشر ، ولا كان نوع من أنواعه و أساليبه في اللغة الواحدة ؛ بالذي يكفي في الدلالة على مراد الالفاظ دلالة لا تحتل شكاً في مقصده من لفظه ، أعني الدلالة المعبر عنها بالنص الذي يفيد معنى لا يحتمل غيره»²⁴

المطلب الثاني: إنحراف المعنى

و نناقش فيه الظاهر و الباطن من المعنى ثم نستعرض المعنى الطبيعي و المعنى غير الطبيعي

معلوم أن للألفاظ ثلاث مراتب للدلالة مع اختلاف الباحثين في تعيينها سواء في التراث العربي أو بين التداوليين المعاصرين ؛ اثنان من داخل اللفظ و الثالثة من خارجه (السياق الخارجي) إذ هو ليس من وضع اللغة بل من وضع القصد ، فالدلالة الأولى دلالة مطابقة و هي دلالة الوضع والثانية دلالة التضمنين و منها الإضمار ثم دلالة الالتزام و فيها التعريض تراثياً أو التلويح تداولياً

لفرع الأول: الظاهر و الباطن:

إن الانحراف عن المعنى الظاهر في الخطابات تحكمه سياقات ومقامات وأحوال مختلفة ، أولها حالة المتكلم، ثانيها حالة السامع، ثالثها المقام الذي حدث فيه هذا الخطاب، رابعا السياق الداخلي²⁵ لهذا الخطاب (لغة الخطاب) ، ففي المثال -أ- انحرف المعنى عن الظاهر لانحراف القصد لدى المتكلم و سبب الانحراف هو المقام ؛ فالمقام هنا يسوده الاحترام و التهذيب والمستوى الحضاري الذي يتطلب نوعاً من اللباقة ، و مع حرارة الجو المزعجة رأى المتكلم أن يطلب من الحاضرين بطريقة مألوفة وحضارية تنفيس الغرفة . و شاهده لا تحصى و كثير من أبواب البلاغة العربية تعنى به كالكناية والتعريض وأسلوب الحكيم وبعض أبواب المجاز (المجاز غير الصريح). غير

أن بول غرايس بنى على القصد معنيين ؛ معنى طبيعي و معنى غير طبيعي ، و هذا عمق آخر للعبارات؛ غير الظاهر والباطن ، فالمعنيان قد يكونا باطنين أو ظاهرين .

يمثل غرايس بأمثلة للمعنيين :

الفرع الثاني: المعنى الطبيعي و غير الطبيعي

المعنى الطبيعي:

(ب) 1- هذه البقع تعني الحصبة

1- هذه البقع لا تعني شيئا بالنسبة لي ، ولكنها تعني الحصبة بالنسبة للطبيب

2- الميزانية الحالية تعني أننا سنشهد عاما صعبا .

في هذه الأمثلة لا نستطيع البرهنة عليها فكلمة تعني متعلقة بدلالة داخلية طبيعية غير اصطلاحية؛ فبقع

الحصبة تدل على مرض الحصبة و الدخان يدل على النار و الأثر يدل على المسير (علاقات سببية). « و هذا

يعني القول :

س تعني أن ق ، و «س تعني أن ق يستلزم ق»

حيث ترمز (س) إلى موضوع أو موضوعات و ترمز (ق) إلى قضية ، فالقول هنا يستلزم وجود واقعة

معينة.²⁶ لا قصد فيها.

المعنى غير الطبيعي:

من أمثلتها :

(ج) 1- هذه الرنات الثلاث في جرس الباص تعني أن الباص ممتلئ

2- هذه الملاحظة "زيد لا يمكن أن ينجح من غير عناء أو كفاح" تعني أن زيدا وجد زوجته لا

غنى عنها .

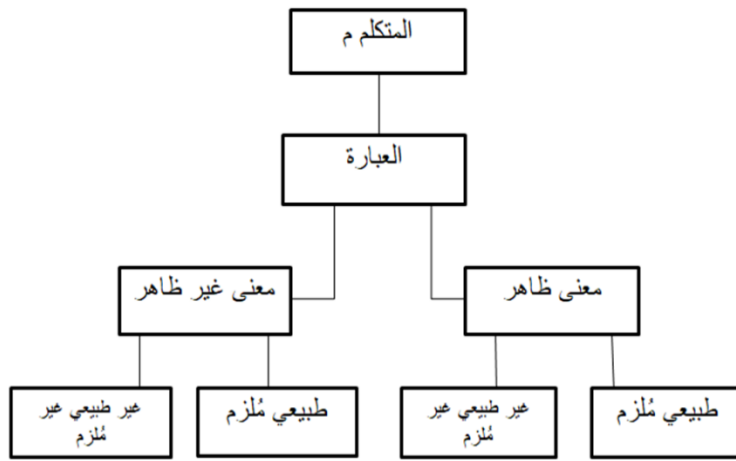
فالمعنى هنا ما اصطُح عليه (أي قُصد) ، قد يتحقق و قد لا يتحقق ؛ فقد يرئ سائق الباص

الجرس دون امتلائه ، و قد ينجح زيد بالرغم من هجره زوجته منذ زمن ، فالدلالة ليست داخلية إنما اصطلاحوا

عليها كالقانون الداخلي لمؤسسة ما وهو معروض للتغيير فيه بالزيادة و النقصان أو الإلغاء²⁷. وعليه: س تعني أن ق، و س تعني أن ق لا تستلزم ق.

لكن في حالة الخداع ينتقل المعنى الطبيعي إلى معنى غير طبيعي كالأنين²⁸ الكاذب ؛ لأنه تعلق بإرادة الشخص الفاعل ، فيظن السامع أن الشخص يتألم لأنه يعرف أن الأنين صوت طبيعي للدلالة على الألم ، فإذا اكتشف الأمر عرف أن الشخص غير جدير بالثقة . ينظر المزيد في الصفحة 44 من نفس المرجع .

لعل هذا الرسم التوضيحي يقرب المفهوم في الشكل 1



الشكل 1: المعنى

المصدر: المؤلف

م (س (ظ (ط)) أو : م (س (ظ (غير ط)))

م (س (غير ظ (ط)) أو : م (س (غير ظ (غير ط)))

حيث م : المتكلم، س: العبارة أو الفعل الكلامي، ظ: معنى ظاهر، ط: معنى طبيعي.

ما بعد مبدأ التعاون :

لكن هل مبدأ التعاون و نظرية المعنى عند غرايس كافيان في تفسير و تحليل التواصل بين البشر ؟ يقول الدكتور طه عبد الرحمن : «.. الاعتراضات التي وردت على هذا المبدأ و التعديلات التي أدخلت عليه ، بلغت النهاية في الكثرة ؛ بيد أنه لا يستوقفنا من ذلك إلا اعتراض واحد ؛ و هو أن مبدأ التعاون و القواعد المتولدة منه لا تضبط إلا الجانب التبليغي من التخاطب ، أما الجانب التهذيبي منه فقد أسقط اعتباره إسقاطا ؛ و لا يفيد كثيرا في دفع هذا الاعتراض أن يقال : إن غرايس قد أشار إلى هذا الجانب في عبارته التي جاء فيها : (هناك أنواع شتى لقواعد أخرى ، جمالية و اجتماعية وأخلاقية من قبيل (لتكن مؤدبا) التي يتبعها عادة المتخاطبون في أحاديثهم و التي قد تولد معاني غير متعارف عليها) فعلى الرغم من ذكر غرايس للجانب التهذيب من المخاطبة في هذه الإشارة ، فإنه لم يَقم له كبير وزن ؛ و ذلك للأسباب الثلاثة الآتية :

أ- أنه لم يفرد بالذكر

ب- أنه لم يبين كيف يمكن أن نباشر وضع هذه القواعد ..

ج- أنه لم يتفطن إلى أن الجانب التهذيبي قد يكون هو الأصل في خروج العبارات عن إفادة المعاني الحقيقية أو المباشرة»²⁹. ثم يقول طه عبد الرحمن ملخصا مبادئ فصلها سابقا : «إن الخطاب بنية تفاعلية تقوم على ضريين من المبادئ : مبادئ تواصلية و أخرى تعاملية ، و إن أهم مبادئها التي تقررت عند المشتغلين بالنظر في الكلام الإنساني خمسة : مبدأ التعاون و مبدأ التأدب و مبدأ التواضع و مبدأ التأدب الأقصى و مبدأ التصديق ، و قد وضعنا أن هذه المبادئ تتفاضل فيما بينها تفاضلا ، فمبدأ التأدب بفضل مبدأ التعاون بتفقيده للجانب التهذيبي ، و مبدأ التواضع بفضل مبدأ التأدب بتعرضه لعنصر العمل من الجانب التهذيبي ، و مبدأ التأدب الأقصى بفضل مبدأ التواضع لوقوفه على وظيفة التقرب من الغير التي يؤديها العمل ، و مبدأ التصديق بفضل مبدأ التأدب الأقصى ، لأنه يقوم بشرطي التقرب من الغير ، و هما الصدق و الإخلاص ، فيكون بذلك أفضل المبادئ و أكملها جميعا ؛ و لا عجب أن يكون هو الأصل الذي تقر في الممارسة التراثية الإسلامية العربية، إذ معاناتها للتخاطب كانت أصدق حالا و أفسح مجالا ..»³⁰.

نظرية الملاءمة :

و توجه بعضهم وجهة أخرى منهم (سبيربر) و (ولسن) مع بعضهما و (كارستن) و (بليكمور) وكانت تعديلاتهم جذرية³¹. «فقد وضع (سبيربر) و (ولسن) نظرية جديدة هي نظرية الصلة أو المناسبة يتكفل فيها مبدأ واحد هو مبدأ الصلة بتفسير الظواهر التواصلية كافة و حتى الإدراكية ، من دون حاجة إلى قواعد غرايس السلوكية»³² «إن نظرية الصلة تقدم مدخلا جديدا لدراسة التواصل البشري وهذا المدخل مبني على أساس رؤية شاملة للإدراك البشري يكون الهدف هو تحقيق أكبر قدر ممكن من التأثير الإدراكي - المعرفة مقابل أقل قدر من الجهد المبذول للمعالجة-»³³ و ذلك أنهما قررا في بداية كتابها أن الأفكار لا تنتقل بين طرفي التواصل ذلك لأنها

تمثيلات تصويرية إذ «إن التواصل هو عملية تتطلب جهازين لمعالجة المعلومات. أحد الجهازين يغيّر أو يعدل البيئة الفيزيائية للآخر. ونتيجة لذلك يقوم الجهاز الثاني بتكوين تمثيل أو ترميز representation مشابه للتمثيل المخزون في الأول»³⁴ و بيّنا أن التواصل يكون بأنموذجين ؛ أنموذج الشفرة و المقصود هنا اللغة و مجاله علم الدلالة و أنموذج الاستدلال الذي اشتهر به (بول غرايس) و (ديفيد لويس) و مجاله التداولية، أما التشفير و فك التشفير فهو معروف في النظريات اللسانية . أما الاستدلال فمبني على البيّنة (الدليل) و تأويلها و البيّنة في المثال (أ): الجو حار. هو التنبيه أو الاستفزاز لعقول السامعين حتى تبحث وتستعمل الاستدلال لفهم الغرض من نطق المتكلم بهذه العبارة . وكلا الأنموذجين لا يرقيان لتكوين نظرية عامة في التواصل كما قالنا، ثم يقترحان أنموذجاً استدلالياً محسناً (هو أنموذج الملاءمة) حيث وسعا فيه مساحة المعنى بإضافة منطقة ثالثة سميها التصريح ؛ إذ هناك منطقة المعنى المطابق للفظه ثم منطقة التصريح ثم منطقة التلويح فالمعنى الأول هو معنى اللفظة الوضعي و الثاني يأتي مع اللفظة من مضمرة اللفظة) و الثالث يأتي عند اللفظة (اقتضاه السياق)³⁵. ثم بيّنا كيف يمكن الجمع بينه و بين أنموذج الشفرة، معترفين بأنه لا يرقى أن يكون نظرية عامة في التواصل. وافترضنا أن الجهازين الإدراكيين قد تطورا وفق [نظرية الانتقاء الطبيعي]³⁶ فصارا يقدمان أقصى درجات الملاءمة والصلة أثناء عملية التواصل، ذلك أن الانتقاء الدقيق في السياق والمقام المعلوم لإيصال المعلومة مع النية بتعريف الطرف الآخر بما يتطلب أقصى درجات الملاءمة بين ما يتلفظ به المرسل و ما يتوقع من المتلقي أن يفهمه ؛ ففي المثال (أ) الجو حار؛ تطلّب من المرسل مراعات المستمعين و مقامهم ومستواهم ومقامه منهم وتوقيت النطق ثم الاقتصاد التام في الألفاظ وأن عبارة (الجو حار) بإمكانها أن تحمل قصده بوضوح – الذي هو طلب فتح النوافذ – دون لبس أو أي تشويش سواء في وضوح العبارة صوتا بما فيه من نبر ولغة جسد؛ مع ملامح التضايق و التأفف مع إشعارهم بإحساسه بمشاعرهم المتضايقة أيضا من أجل تحفيزهم لتغيير الوضع. عند ذلك يكون قد حقق مقصده وغرضه . سميا هذا الاختيار المناسب الاستدلالي في التواصل الذي يتعلق بما يستعمله المتكلم من مثيرات تسمح للمخاطب بالتعرف على مجموعة من الفرضيات الملائمة، وتوجهه إلى قصده معتمدا في ذلك على شحنة المعارف المشتركة الظاهرة بين المتخاطبين والتي تعرف من خلال مفهومين: مفهوم المعارف الظاهرة ومفهوم المحيط المعرفي المشترك ، وتكون المعارف ظاهرة عندما يكون حال المتخاطبين معروفا³⁷ و منه قرّرا أن هناك قصدان: قصد ابلاغ المستمع بالمعلومة وقصد تعريف المستمع بهذا القصد، فالأول إخباري و الثاني تواصل³⁸.

خاتمة:

إن الاكتشاف الكبير الذي قام به أوستين للأفعال الكلامية كان هو مبدأ انبعاث الاهتمام التداولي بالقصدية في الخطاب والتواصل، خصوصا في لغة الاتصال اليومي، مما حدا بجون سيرل العناية بمباحثه وتطويرها بل وتجاوزها؛ مما عمّق و حوّر دراسات الفلسفة التحليلية ونحا بها إلى فلسفة اللغة ثم إلى فلسفة العقل التي اعتبرها هي الأصل وفلسفة اللغة اشتقاق منها، كما ظهرت تيارات تداولية أخرى اعتنت بنظرية التواصل و قعدت لها.

ومن خلال البحث بدا أن هناك زخم كبير وتزاحم على الدرس التداولي، حيث كانت القصدية بمعنى مقاصد المخاطبين و المعنى محور جلّ البحوث بهذا الصدد، وأهم نتائج هذه الورقة البحثية:

- 1- أن سيرل وضع تصنيفا جديدا للأفعال الكلامية.
 - 2- وضع لها قواعد خمس لتحيدها.
 - 3- صحح مفهوم الاستعمالات اللغوية عند فتغنشتين و أوستين.
 - 4- بحث تأثيرات القصدية في الخطاب من خلال الفعل الكلامي غير المباشر.
 - 5- نبه على خطورة التواضع الذي ينقل الجملة من قول غير مباشر إلى قول مباشر متواضع عليه.
 - 6- وضع غرايس مبدأ التعاون مراعاة لمقاصد المخاطبين.
 - 7- اكتشاف غرايس للمعنى غير الطبيعي و تعالقه بالقصد.
 - 8- استخراج طه عبد الرحمن مبدأ التصديق من التراث الإسلامي من خلال تتبع تطور مبادئ التواصل بعد غرايس
- و يجدر التنويه أن جل ما دُرِس كانت الجملة أو القولة محورها، و المأمل أن تكون حول النصوص و تفسيرها.

الهوامش:

- 1 - ابن منظور . لسان العرب . دار صادر، بيروت لبنان، مادة قصد. ص 353.
- 2- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. مختار الصحاح. دائرة المعاجم، مكتبة لبنان . لبنان. ص 224.
- 3- جون سيرل . القصدية بحث في فلسفة العقل . ت أحمد الأنصاري . دار الكتاب العربي، بيروت لبنان د ط، 2009.
- 4- عبد الواحد المرباط : مفهوم المقصدية في تاريخ الفلسفة من خلال أطروحة كانديدا دي سوزا . ضمن دورية سرود : مجلة النقد الأدبي . منشورات دار القلم المغربي . الدار البيضاء . المغرب . إشراف مختبر اللسانيات . كلية الآداب - بنمسك جامعة الحسن الثاني . العدد 3 شتاء 2019 .
- 5- إسماعيل صلاح . نظرية جون سيرل في القصدية دراسة في فلسفة العقل . حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية - الحولية السابعة و العشرون - 2007م.
- 6- مسعود صحراوي . التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير الجزائر، ط 2، 2020. ص 253. و لحظة ميلاد التداولية . دار التنوير الجزائر، ط 1، 2023. ص 209.
- 7- إسماعيل صلاح . نظرية جون سيرل في القصدية دراسة في فلسفة العقل. ص 54.
- 8- جون سيرل . القصدية بحث في فلسفة اللغة . ت أحمد الأنصاري . دار الكتاب العربي، بيروت لبنان د ط، 2009. ص 21.
- 9- جون ر. سورل . الأعمال اللغوية : بحث في فلسفة اللغة ت : أميرة غنيم . دار سيناترا . المركز الوطني للترجمة . تونس 2005 . ط 1. ص 49. ملاحظة: 1- يختلف بعض الباحثين في الكتابة العربية للمؤلف بين سيرل و سورل كل حسب النطق و بالانجليزية John R. Searle فاللازمة ea يشابه نطقها الكسر في

العربية مثل eat . read ، ينظر الموقع . ReversoContext. وغيره .2- ترجمة عنوان الكتاب speech act إلى الأعمال اللغوية غير موقّق ؛ ينظر نفس الموقع ، على أن الكلام هو العمل ليست اللغة.

¹⁰ -آن روبول، جاك موشلار. التداولية اليوم علم جديد في التواصل ت سيف الدين دغفوس ، محمد الشيباني .دار الطليعة للطباعة و النشر. بيروت . لبنان ط 1. 2003. ص33.

¹¹ - جون سيرل: العبارة و المعنى ، ت شكري السعدي ، معهد تونس للترجمة ، تونس 2021 ط 1 ص 16.

¹² - نفسه ص 29.

¹³ -وع: الوعد ، ج: الجملة ، ل : العمل ، م : المتكلم ، ع: السامع .

¹⁴ - ينظر شرحها في : جون ر. سورل . الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة ت : أميرة غنيم ص 113 و ما بعدها.

¹⁵ - ابراهيم ميهوبي ، المنحى التداولي في فهم النص عند الأصوليين . رسالة دكتوراة ، جامعة الأغواط . ص49.

¹⁶ - Paul Grice. Studies in the way of words. Harvard University Press Cambridge, Massachusetts, London, England.p26-27.

¹⁷ - إسماعيل صلاح ، النظرية القصدية في المعنى عند جريس : حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية - الحولية الخامس و العشرون 2005م . ص : 87 .

¹⁸ - عند إسماعيل صلاح : الكم- الكيف - الإضافة- الجهة . نفسه ص:88.

¹⁹ - عند هشام ابراهيم الخليفة : الأسلوب بدل الطريقة .

²⁰ - لمزيد من التفصيل ينظر : هشام عبد الله الخليفة ، نظرية التلويح الحوارية بين علم اللغة الحديث و المباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 2013 . ص 32.

²¹ - و يسمى التلويح أو الاستدلال .

²² - الاقتضاء الاتفاقي و غير الاتفاقي : يترجمهما هشام عبد الله الخليفة بالتصريح و التلويح . السابق ص 31.

²³ - إسماعيل صلاح : النظرية القصدية في المعنى عند جريس . ص 81.

²⁴ - محمد الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 2011 ص 39.

²⁵ - أضيفت كلمة داخلي احترازاً من السياق الخارجي الذي هو المقام عند البعض .

²⁶ - إسماعيل صلاح ، النظرية القصدية في المعنى عند جريس. ص 40 . ينظر تحليل غريس قبلها و بعدها .

²⁷ - راجع تحليل غريس في نفس المرجع ص 41.

²⁸ - هذا مع التسليم لغريس أن الأئين خطاب !

²⁹ - طه عبد الرحمن : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي . المركز الثقافي الإسلامي . ط1 1998 . الدار البيضاء . المغرب العربي . ص 239-240.

³⁰ - نفسه ص 253.

³¹ - ينظر هشام عبد الله الخليفة ، نظرية التلويح الحوارية بين علم اللغة الحديث و المباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي ص 87.

³² - نفسه ص 86.

³³ - نفسه ص 107.

³⁴ - سبربر و ولسن ، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل و الإدراك ت هشام عبد الله الخليفة. دار الكتاب الجديد . بيروت لبنان ط 1 . 2016 ص 20.

³⁵ - ينظر هشام عبد الله الخليفة ، نظرية التلويح الحوارية بين علم اللغة الحديث و المباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي . ص 476 وما قبلها .

³⁶ - نظرية الانتقاء الطبيعي أو نظرية التطور عند داروين لا تعترف بالخلق. للمزيد عنها يشاهد سلسلة (رحلة اليقين) للدكتور إياد قنيبي على يوتيوب .

³⁷ - ابراهيم ميهوبي ، المنحى التداولي في فهم النص عند الأصوليين . ص198.

³⁸ - ينظر: سبربر و ولسن ، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل و الإدراك ت هشام عبد الله الخليفة. ص 107 و 112.